قصة

من وحي الجدول

بقلم : الاستاذ حسن الجواهري

لقد كانت تروح وتغدو بين البيت والجدول وجرة الماء محمولة على كتفها وذلك عمل شاق تقوم به القرويات لتموين بيوتهن بالماء يومياً وهو لم يكن الا جزءاً من بقية الأعمال الجبارة التي تنوء تحت اعبائها الثقيلة فتاة القرية المسكينة وكان الوقت آنذاك اصيلا والشمس منبسطة على المزارع والحقول والنسيم يسري رخاءاً بارداً في جو مشبع بانفاس الورود الندية ومضمخ بشذى الأعشاب الناضرة والسكون ضارب أطنابه في الفضاء فلا صوت الا أصوات الطيور المتجاوبة ولا همس الا وقع الندى على الأوراق الغضة المتمايلة . أجل لقد كانت تروح وتغدو وهي تنقل الماء الى البيت يستر جسدها البض الرقيق ثوب أحمر بسيط ورأسها البيضي الجميل عباءة من الصوف تنحدر الى ركبتها أما الوجه والصدر والساقان فمعروضة جميعاً الى النور والهواء والأنظار بصورة جميلة فاتنة وكانت خصلة من شعرها الذهبي الناعم تدلى على خدها الوردي الأسيل فتزيدها فتنة وجمالا وقد كانت تخفف من وطأة التعب بغناء ريفي اخاذ ينبعث من حنجرتها موسيقياً مطرباً تهتز له المشاعر وتهفو اليه القلوب تلك هي (زهوة) ابنة الريف ووليدة الطبيعة وربيبة الفضاء اللا متناهي .

وكان في الضفة الثانية من الجدول شاب في مقتبل العمر فيه حيوية ونشاطا مفتول الساعدين قوي العضلات أسمر البشرة جذاب الملامح يحتظن قيثارة ذات أوتار متعددة يعزف عليها عزفاً ريفياً آية في الفن والعجوبة في الصنعة ذلك هو « حميدي » ويشاء الغرام أن يلعب دوره في ذلك المسرح الريفي العجيب فيتغلغل بين القلبين ثم يسري مفعوله الى العروق والشرايين فيكهرب الدم ويفعل فعله الرهيب وما هي الا نظرات أعقبتها ابتسامات ثم انقلبت الى اشارات ورموز مفهومة بين الطرفين وبدأت الأيام الجديدة تمر وتتعاقب وهي تلهب العاشقين بنيران الغرام وتكهربهما بكهرباء الحب فراحا يتناجيان ويتفاهمان بلغة لا يفهمها الا العشاق والمحبون غير ان الوصال كان يبدو لأول الأمر مستحيلا لان زهوة محاطة باخوة ثلاثة قد جبلوا على الصراحة وطبعوا على الفروسية ان علموا بامرها قتلوها حالا وما ايسر القتل عند الريفيين في سبيل العرض والناموس ولكن تيار الحب جارف لا تقف دونه العقبات ولا يصده تهديد ووعيد فطوح بهذين الحبيبين الى ركوب الاخطار واقتحام الشدائد ذلك انهما تعاقدا سراً برموز واشارات كانت كافية لتمهيد الوصال تحت جنح الظلام وقد علم « حميدي » بان عليه أن يجازف بحياته مجازفة أقل اخطارها رصاصة تردية قتيلا وانه لابد له أن يقتحم البيت الذي تقيم فيه حبيبته وسالبة لبه وهنالك قد تمكنه المغادير من ضمها وعناقها والتمتع بجمالها الرائع الفتان أما اذا لم يوفق الى ذلك وحالت بينه وبين امنيته الرصاصة فانه قد أدى رسالة حبه كاملة وذهب شهيداً في السبيل الذي سلكه من قبله المحبون المغامرون . وظل يتحين الفرص السانحة والاوقات المناسبة لاقتحام البيت واخطاره وقد اعد عدته وتدجج بسلاحه وخاض عباب بحر من الظلام في ليلة ضرب له فوعد فيها من قبل حبيبته ذو ساعة معينة ووقت معلوم وعند بلوغه باب المنزل رأى